**عجائب الاستغفار!**

**عبداللطيف بن عبدالله التويجري**

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ \* أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ \* وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ).

كلمةٌ ظلمتها الألسن كثيرًا، وعصت على التذكر، وطوائفُ إبليس تحفِرُ في الأفئدة= خدوجَ النسيان.

 لو كُتبت لائحةٌ مختصرة عن تميز الإنسان لكُتبَ في صدرها هذه الكلمة، ولو كُتب دستورٌ عن أفضل عمل يعمله المرء لكُتب في مقدمته هذه الكلمة.

عن ابن المبارك -رحمه الله تعالى- عن الأوزاعي أنه قال: "قَالَ إِبْلِيسُ لِأَوْلِيَائِهِ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَأْتُونَ بَنِي آدَمَ؟، فَقَالُوا: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ: فَهَلْ تَأْتُونَهُمْ مِنْ قِبَلِ الِاسْتِغْفَارِ؟، قَالُوا: هَيْهَاتَ! ذَاكَ شَيْءٌ قُرِنَ بِالتَّوْحِيدِ، قَالَ: لَأَبُثَّنَّ فِيهِمْ شَيْئًا لَا يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ مِنْهُ، قَالَ: فَبَثَّ فِيهِمْ الْأَهْوَاءَ".

وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره يقول الشيطان: "أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار، فلما رأيتُ ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يستغفرون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا".

يا لها من هزة إبليسية أن يقول الشيطان عنا ويحدّث عنا! هؤلاء قوم يذنبون ولا يستغفرون الله؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، نذنب ونسرف في جنب الله، ثم نقول لمن حولنا: لِمَ نستغفر الله أنحن أذنبنا؟!

ضعفاء مفتنون في إسرافنا حتى اعتراف الذنب ما قلناه، نستغفر الله العظيم تعبدًا، غفرانك يا الله..

كلنا مذنب يمشي على الأرض فلأي شيء شمخت نفوسُنا؟! واستكبرت له طينتُنا حتى تركنا الاستغفار فتخطفُنا الأبالسة وتركبنُا الموبقات.

لما تكبرت ثمود على الله -عز وجل- وعتت وتغطرست، وكفرت بالله قال لهم نبي الله صالح: (لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) فلم يفعلوا؛ ليكون الجواب إلى قيام الساعة: (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ \* فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)

 (لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ماذا؟ لمن يعلمون أن الاستغفار هو ركاب النجاة، وأوبة الفلاح، ومدار السعادات في الدنيا والآخرة.

**أستغفر الله العظيم..** كلمة قالها شعيب -عليه السلام- لقومه: (وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ \* قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)، قالوها استكبارا في الأرض فأخذتهم الصيحة، فبعدًا لقوم لا يستغفرون.

كل هذه الأمم عَزفت عن الاستغفار وسؤال الله التوبة، فخسروا وخابوا ..

كلما رأيتَ الرجل يعزف عن الاستغفار ويكثر نسيانه، فاعلم أنه محروم! حتى الأنبياء وهم المعصومون يستغفرون الله.

قال موسى -عليه السلام- (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي)، وأبو البشرية يقول: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)، ونوح -عليه السلام- يقول: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا).

وداود -عليه السلام- استغفر ربه فخر راكعًا وأناب، وسليمان -عليه السلام- يقول (رَبِّ اغْفِرْ لِي)، وإبراهيم -عليه السلام- (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)، والله -عز وجل- يقول لأزكى البشرية: (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)، ثم قيل لنا جميعًا أيها المؤمنون في سورة فصلت: (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ).

**إنك إذا تأملت أيها المبارك!** تجد بعد العبادات الاستغفار، وبعد الصلاة استغفار، وبعد قيام الليل استغفار، وبعد الإفاضة من عرفة استغفار، وعند ختم المجالس استغفار، وفي أواخر العمر استغفار: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا).

نستغفر الله العظيم، لأنا نعلم أحوالنا، ونعلم أعمالنا، ونعلم إهمالنا، نستغفرُ الله لأن الذنب جزء لا يتجزأ من طبع الإنسان، والاستغفار جزء لا يتجزأ من شريعة الصالحين، والذي نفس محمد بيده لو لم نذنب فنستغفر الله لذهب الله بنا، وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر الله لهم.

**أستغفر الله العظيم..** محرقة الذنوب ممحاة العيوب، روى الإمام أحمد في كتاب الزهد قال: حدثنا مالك قال: سمعت أبا يحيى يقول: شكوت إلى مجاهد الذنوب، فقال -رحمه الله: "أين أنت من الممحاة؟" يعني الاستغفار.

**أستغفر الله العظيم..** أليس منا من قد غش؟! أليس منا من كذب؟! أليس منا من اغتاب؟! أليس منا من انتهك محارم الله في خلواته؟! أليس منا من عصى والديه يومًا؟! أليس منا مَن فرَّط في جنب الله؟! أليس منا من قد سرق؟! أليس منا من ظلم؟! أليس منا من زوَّر الحقيقة لاغتصاب حق؟! أليس منا من تساهل عن الصلاة؟! أليس منا من أخلف وعدًا؟! أليس منا من أضاع الأمانة؟! أليس منا من ساء خلقه وجاش به غضبه؟! أليس منا من هجر تلاوة القرآن ومن قطع الأرحام وارتكب الحرام وفعل الآثام؟! إذاً فلنستغفر الله على كل حال!

 **اللهم أني استغفر لنفسي، وأستغفر لإخواني وأستغفرُ لسائر المؤمنين والمؤمنات، من كل ذنب؛ فاغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم.**

**الخطبة الثانية:**

 أما بعد: فقد روى الإمام أحمد وأصحاب السنن من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: "إن كنا لنعد لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المجلس الواحد مائة مرة يقول: "رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم".

وروى مكحول عن أبي هريرة أنه قال: "ما رأيت أكثر استغفارًا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"، وقال مكحول: "ما رأيت أكثر استغفارًا من أبي هريرة -رضي الله عنه-". وكان -رضي الله تعالى عنه- يقول لغلمان الكتاب: "قولوا اللهم اغفر لأبي هريرة"، ثم يقولون: "اللهم اغفر لأبي هريرة"، فيؤمن على دعائهم.

وجاء حذيفة يومًا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فقال حذيفة يا رسول الله إني ذرب اللسان –أي: حاد اللسان"، وفي رواية "خشيت يا رسول الله أن يدخلَني لِساني نار جهنم، وإن عامةَ ذلك في أهلي"، فقال -عليه الصلاة والسلام-: "أين أنت من الاستغفار يا حذيفة؟! إني لاستغفر في اليوم والليلة أكثر من مائة مرة". رواه الإمام أحمد.

نستغفر الله كي يرحمنا، كي يعفو عنا، كي يخرجنا مما نحن فيه من قماقمِ الذل وسرادبِ الاستضعاف، كي نرفع هذه الغمة عن هذه الأمة، نستغفر الله لأن جزءًا من هذا الهوان التي تعيشه الأطياف المسلمة إنما كان بسبب غفلتنا وهذه العذابات التي تتعاقب علينا ما كانت لتكون إلا بسبب الإعراضِ عن الله -جل وعلا- والتوبةِ إليه.

نستغفرُ الله لأن جزءًا مما تتحمله هذه الأمة من مصائبها ومن نكساتها؛ كان بسبب ذنوبنا وغفلتنا عن سؤال الله.

**نستغفر الله العظيم** لأن الكوارث لا تولدُ إلا الكوارث، وكوارث تركنا الاستغفار وَلَّد مشاهد الكاريثية التي نراها على جميع المستويات، فما يفقُ أهلُ السنة على بلية إلا ويصطبحون على بلايا بضربات أكبر.

هزيمة تعقبها هزيمة، ومدن وحصار، ودمار تأكله النار، ولو كان سهمًا واحدًا لاتقته هذه الأمة، ولكنه سهم وثان وثالث.

ونحن مع هذا مستكبرون أن يكون ذلك من قبل ذنوبنا، أليس الله -عز وجل- يقول: (وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ).

**أستغفر الله العظيم..**

تتحدثون عن ضعف أهل الإسلام في هذا العصر وعن وقلة حيلتهم وهوانهم على الناس، أكثروا من الاستغفار فالله -عز وجل- على لسان نبي الله هود -عليه السلام- (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ).

تتحدثون عن العزة وعن القوة وعن العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم قول الله -عز وجل-: (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)، فكانت الإجابة: (فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ).

تتحدثون عن مغفرة الله -عز وجل- اغفروا واعفوا عن الناس: (وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

تتحدثون عن الوظائف والأولاد والأزواج والأموال ومطرِ السماء والأرزاق: أكثروا من الاستغفار (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا).

لنعلنها وثيقة **صباحية مسائية استغفارية**، نستغفر الله من كل دعوة لم تُستجب لنا لتركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، "مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجيب لكم".

كانوا إذا حلت المنكرات ببلدانهم استغفروا الله؛ لأنه ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رُفع إلا بتوبة.

**عجائب الاستغفار:**

برز الناسُ للاستسقاء في بعض أيام سعيدِ بنِ سليمان، فلما ابتدأ الخُطبة خنقته العبرة، وأشكلت عليه الخطبة، فاختصرها، وأكثر من الاستغفار، وأكثر من الاستغفار، ثم صلى، وانصرف، فسُقي الناسُ في ذلك اليوم".

**أيها الكرام!** فلنزل هذه المنكرات باستغفارنا، ولنستجلب الأمن باستغفارنا، ولنستدفع هذه الهزائم باستغفارنا، ولنصلح أحوالنا وأولادنا باستغفارنا، ولنستمطر السماء باستغفارنا، ولنمحو الذنوب الجاثية على قلوبنا بالاستغفار .. **فاستغفروا الله، فالله يعدكم مغفرة وفضلاً، ومن يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا.**

**اللهم اغفر ذنوبنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين..**